٧

كتاب مراكش

لابن البيطار

تحقيق

لطف الله قاري

أبحاث المؤتمر السنوي السادس والعشرون لتاريخ العلوم عند العرب والندوة الدولية الأولى حول ابن البيطار (أبريل/ نيسان ٢٠٠٥) ، حلب : معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب ، ٢٠٠٧ ، ص ١٦٣-١٧٧

مقدمة

في مكتبة نور عثمانية بإستنبول كتاب في الأدوية النباتية، عبارة عن شرح لكتاب ديوسقُريدس في الأعشاب الطبية، وفي نفس الوقت تعقيب على كتاب ابن جلجل الأندلسي في الموضوع نفسه، تم تأليفه في مراكش سنة ٦٠٠هـ.، وذلك على يد تلميذ لتاجر الأعشاب الطبية عبد الله بن صالح الكتامي. وقد نُسب هذا الكتاب مرة إلى أبي العباس النباتي ابن الرومية، وأخرى إلى مجهول. ومعلوم أن كلا من الكتامي والنباتي ابن الرومية أستاذان لابن البيطار.

وقد طبع الكتاب في ألمانيا سنة ١٩٨٨. ودراسة محتوياته تضيء لنا مساهمات كل من الكتامي والمؤلف وتأثيرهما على موضوع شروح ديوسقُريدس، كما توضح الكثير من المعلومات حول شخصية الكتامي وسيرته العلمية والعملية.

وتبيّن دراسة الكتاب بالأدلة والبراهين أنه من تأليف ابن البيطار، وهو غير كتابه الآخر المطبوع **"تفسير كتاب دياسقوريدوس"**.

ترجمات وشروح ديوسقُريدس عند العرب

نتيجة لحركة الترجمة التي ابتدأت منذ القرن الأول الهجري ترجمت كتب كثيرة في علم النبات، نجد أسماءها في مصادر تاريخ العلوم العربية والمراجع الحديثة. ولكن أبرزها كان كتاب "هيولي الطب" Materia Medica أو "الحشائش" للطبيب الهليني ديوسقُريدس Dioscorides من عين زربى، قرب مدينة طرسوس في تركيا الحالية. وقد ترجم أولا من قبل إسطفن بن بسيل الذي ترك أسماء معظم النباتات باليونانية، لأنه لم يجد ما يقابلها بالعربية. وهو كان معاصرا لحنين بن إسحاق (توفي عام ٢٦٠هـ/ ٨٧٣م). وقد أصلح حنين تلك الترجمة، ولكنها ظلت بحاجة إلى مراجعة شاملة لتعريبها بالكامل. وفي سنة ٣٣٧هـ/ ٩٤٨م أهدى ملك القسطنطينية إلى عبد الرحمن الناصر الأموي بقرطبة نسخة جيدة من الكتاب في أصله اليوناني، مزينة بالرسوم. فطلب الناصر من الملك البيزنطي أن يبعث إليه مترجما يجيد اليونانية واللاتينية. فأرسل إليه عالما يدعى "نقولا الراهب". فاجتمع بأطباء الناصر، فأعادوا ترجمة الكتاب بعد

مراجعة بعض النباتات على الطبيعة. وأعيدت الترجمة كذلك مرتين في عهد الدولة الأرتقية في ديار بكر (شرق تركيا الحالية) في القرن السادس الهجري (١٢م)[1]. وألّف بعض العلماء شروحا للكتاب من أجل إيضاح مصطلحاته وتعريب الكلمات الأجنبية التي بقيت فيه. وهؤلاء هم ابن جلجل (ت ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م) وأبو العباس النباتي ابن الرومية (ت ٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م) وأبو الحسن الإشبيلي غلام الحرة (القرن ٧هـ/ ١٣م) وابن البيطار (ت ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م). و"تفسير" ابن البيطار هو أوفى الشروح وأتمها. نتج عن خبرة عملية طويلة في فحص النباتات ودراستها، في رحلات علمية قام بها طوال حياته. ونجد في كتابه الآخر **"الجامع لمفردات الأدوية والأغذية"** خلاصة تجاربه وعلمه الغزير، حيث ينقل عن ١٥٠ مؤلفا سابقا له. وكان ابن البيطار أحد العلماء العرب الذين قضوا فترات طويلة من حياتهم في الوقوف على النباتات وتدوين صفاتها والسفر إلى مواطنها. ومن هؤلاء شيخه ابن الرومية السابق ذكره ورشيد الدين الصوري (ت ٦٣٩هـ/ ١٢٤١م) الذي كان يصطحب رساما مع أصباغ وأحبار متنوعة، فيتم رسم النبات في أول نموه وطراوته، ثم يرسم مرة أخرى عند اكتمال نموه وظهور بزره، ثم مرة ثالثة عند ذبوله ويبسه[2]. ويضاف إلى هؤلاء الرحالة العلماء أبو محمد عبد الله بن صالح الكتامي، كما سيتضح من دراسة الكتاب الذي يدور حوله بحثنا هذا.

مجموع نور عثمانية

المخطوطة رقم 3589 في مكتبة نور عثمانية بإستنبول عبارة عن مجموع مكون من إحدى عشرة (١١) رسالة أغلبها في الطب. وقد سبق الحديث مفصلا عن محتوياتها، في بحث "مزاج دمشق" بهذا الكتاب. الصفحات ٨٠ظ-١٢٨و في تلك المخطوطة تضم كتاباً في الأدوية النباتية، عبارة تفسير لكتاب ديوسقُريدس في

[1] المنجد، صلاح الدين: مقدمة كتاب الحشائش والأدوية لديسقوريدس بترجمة مهران بن منصور بن مهران، دمشق: مجمع اللغة العربية، ١٩٦٥.

[2] بن مراد، إبراهيم: مقدمة تحقيقه لكتاب تفسير كتاب دياسقوريدوس في الأدوية المفردة، لابن البيطار، نشر دار الغرب الإسلامي ببيروت، ١٩٨٩.

الأعشاب الطبية، وكذلك تفسير كتاب ابن جلجل حول نفس الموضوع. وهو موضوع دراستنا هذه.

وصف الكتاب

تم تأليف الكتاب في مراكش، حيث أقام المؤلف هناك يقرأ الكتابين على الشجّار (أي تاجر الأعشاب الطبية) عبد الله بن صالح الكتامي الحريري[1] في حانوته سنة ٥٨٣هـ. وفي سنة ٦٠٠هـ أملى المؤلف هذا الكتاب على الناسخ الأول له. فنجد في آخر الكتاب هذه العبارة: **"ونقل من نسخة مكتوب عليها بخط كاتبها ما هذه صورته: بلغت بالقراءة على المؤلف ضحوة يوم الجمعة الثاني والعشرين من رجب الفرد من عام ستمائة بحضرة مراكش. وكتب عبد السلام بن عثمان بن طرخان الطبيب في مستهل رجب المبارك سنة ٦٦٨هـ. بلغ مقابلة على الأصل المنقول منه، وصحّ بحسب الطاقة والإمكان"**[2].

وقد نسب ديتريش في كتابه الصادر عام ١٩٦٦م هذه الرسالة أيضا إلى الأسعد المحلي، مع كون التواريخ تتعارض مع المؤلفات الأخرى لهذا الطبيب المصري. فكيف تتسنى له الإقامة في مراكش والتلمذة على الكتامي العشاب سنة ٥٨٣هـ، ثم زيارة دمشق سنة ٥٩٨هـ ثم إملاء الكتاب الأخير في مراكش سنة ٦٠٠هـ؟

ولكن يعود ديتريش في مقالة أخرى فينسب الكتاب إلى أبي العباس النباتي الأندلسي ابن الرومية أستاذ ابن البيطار[3]. ثم قام نفس الباحث بنشر الكتاب محققا ومترجما إلى الألمانية، ولكن منسوبا هذه المرة إلى مجهول. وهذا هو عنوان الكتاب بالألمانية: "بذرة انتصار ديوسقُريدس، شارح عربي مجهول في نهاية القرن الثاني عشر الميلادي

[1] هو أستاذ لابن البيطار. ترجمته عند لكلير، انظر:

LECLERC, Lucian; Histoire de la Medicine Arabe, reëdete (de 1876 edition) par Ministëre des Habous et des Affaires Islamiques du Maroc, Rabat, 1980, II: 248.

[2] ششن وآخرين، ص ٣٩٨.

[3] DIETRICH, Albert: "Ibn al-Rūmiyya", Encyclopaedia of Islam (EI2), Supplement (1982), pp. 396-397.

لكتاب الأعشاب الطبية"[1]. ونسبه ششن وزميلاه أيضا إلى مجهول[2].

كان دور الكتامي في الكتاب هو الأعمال التالية:

١- إذا وجد نبات لم يقم ديوسقُريدس بتعريفه ووصفه قام بذلك الكتامي إذا كان من النباتات التي عرفها خلال مهنته كتاجر للأعشاب الطبية.

٢- وإذا وجد نبات لم يذكر ديوسقُريدس أصنافا له، ذكر ذلك الكتامي حسب الأصناف التي عاينها.

٣- وإذا وجد الكتامي أن تعريف ديوسقُريدس ناقص، أكمله هو. أو إذا عرّفه ديوسقُريدس بغير ما عاينه الكتامي ذكر ذلك أيضا.

٤- وإذا أخطأ ديوسقُريدس في وصف النبات أو تصنيفه فذكر تعريف أو أصناف نبات مكان آخر، صحح الكتامي هذا وأوضح تصحيحه.

٥- وإذا ذكر نبات عاينه الكتامي وليس له اسم مشهور بغير الاسم اليوناني الذي ذكره ديوسقُريدس، أوضح الكتامي ذلك قائلا: **"أعرف هذا الدواء وشاهدته بموضع كذا ولكنّي لا أعرف له اسماً مشهوراً اليوم"**.

٦- وإذا ذكر نبات لم يعرفه الكتامي فهو يصرّح بذلك للمؤلف.

٧- وإذا ذكر نبات عرّفه ديوسقُريدس ووصفه وصفا لا يحتاج إلى مزيد فالكتامي يصرّح بذلك أيضا للمؤلف.

٨- ويروي الكتامي خلال تدريسه حكايات عن تجاربه الشخصية مع النباتات والأدوية. وهي وقائع تفيد البحث التاريخي حول نشأة الكتامي نفسه والبيئة العلمية والعملية التي تعلّم فيها.

٩- ويوضّح الكتامي خلال الدرس أسماء النباتات باللغات البربرية (الأمازيغية)

[1] DIETRICH, Albert: Dioscurides triumphans : ein anonymer arabischer Kommentar (Ende 12. Jahrh. n. Chr.) zur Materia medica, Göttingen : Vandenhoeck & Ruprecht, 1988.

النص العربي للكتاب نشر بعنوان "شرح لكتاب دياسقوريدوس في هيولي الطب، وضعه مؤلف مجهول في نهاية القرن السادس الهجري"

[2] ششن وآخرين، ص ٣٩٨.

ولاتينية الأندلس في زمانه.

ويوضّح الكتامي كذلك الأخطاء التي وقعت في أسماء النباتات، بحيث استعمل الناس نباتات مختلفة عن الصحيحة، بسبب الخطأ في الاسم.

يوضح المؤلف أنه يقوم بوصف جميع النباتات الطبية في كتاب ديوسقُريدس، إلا أنه يقتصر على المقالات الأربع الأولى من الكتاب المكون من سبع مقالات. ويترك الباقي لأنه لا يتعلق بالنباتات. حيث يقول: **"ورأيت أن أقتفي أثر دياسقوريدوس في ترتيب أسماء الأدوية والمقالات، ولا أغادر من الأدوية النباتية التي ذكر نباتاً واحداً -عُرف أو جُهل- إلا ذكرته، حاشا الأدهان المذكورة في المقالة الأولى، إذ لا فائدة في ذكرها في هذه المقالة.**

وكذلك لا أتعرض لذكر شيء مما في المقالة الخامسة، لأن الذي ذكر فيها من الأدوية النباتية الكرمتان البستانية والبرية والعنب وزهر الكرمتين والأشربة. ولا درك في ذكر شيء من هذه المقالة.

وكذلك لا أذكر باقي ما ذكر في هذه المقالة الخامسة من الأدوية غير النباتية، ولا ما ذكر في المقالتين التاليتين لها، أعني السادسة والسابعة، إذ ذلك خارج عن غرض هذه المقالة"[1].

الكتاب هام في موضوعه، يتحدث عن شرح مفردات كتاب ديوسقُريدس، إلا أن فيه ملاحظات هامة عديدة، وبخاصة إضافات الكتامي عن عالم النباتات في شمال أفريقيا والأندلس الإسلامية. ويعتمد المؤلف على أن القارئ عليه مراجعة كتاب ديوسقُريدس الأصلي، وبالتالي يختصر كلامه كثيرا، بحيث أصبحت النصوص المختصرة والمبتسرة مجرد تلميحات بالنسبة للنص الأصلي. ففي بداية كل فقرة يذكر المؤلف اسم الدواء بالإغريقية بطريقة مشوهة تشويها سيئا. ثم يذكر أقوال ابن جلجل حوله باختصار، ثم يتبع ذلك بوصف مفصل للنبات من إملاء الكتامي، مع ذكر اسمه بالبربرية والقشتالية (وهي اللغة التي كانت سائدة بين الإسبان العرب المدجنين في الأندلس، ويسميها

[1] شرح لكتاب دياسقوريدس، المرجع السابق، النص العربي ص ٨-٩.

المؤلف اللطينية أو أعجمية الأندلس).

يستعمل المؤلف اختصارات لأسماء أربعة مؤلفين يكثر النقل منهم. فيقول في مقدمة الكتاب: **"ورأيت أيضا لإيثار الاختصار أن أجعل علامة اسم دياسقوريدوس صورة أول حرف من حروف اسمه، وهي صورة حرف د. كذلك أفعل في اسم جالينوس ج، واسم سليمان بن جلجل س، واسم عبد الله بن صالح المذكور ع"**[1].

وإجمالا يحذف المؤلف كل ما ذكره ديوسقُريدس من خواص علاجية للأعشاب الطبية، واكتفى كما مرّ بنا بالمقالات الأربع الأولى لأنه يهتم بالنباتات فقط. ولكنه في المقابل يتوسع في وصف تلك الأعشاب من الناحية النباتية botanic، مع ذكر تجارب الكتامي والمؤلف حول الخواص العلاجية للنبات.

أهمية الكتاب

فوائد الكتاب في تاريخ العلوم عديدة. فمن ناحية يحتوي على ثروة من أسماء النباتات بأعجمية الأندلس واللهجات البربرية بالمغرب في ذلك العصر. ولا ننس أن قبيلة كتامة التي ينتمي إليها الكتامي هي بربرية. ويبين الكتامي كذلك تسميات النباتات في الأماكن المختلفة، فالتسمية في فاس قد تختلف عنها في طنجة وغيرها. وفي كل صفحات الكتاب نجده عالما نباتيا يستطرد استطرادات موسعة في أنواع النباتات وأوصافها والبيئات التي تنبت فيها

ويبيّن المؤلف أحيانا على لسانه هو وأخرى على لسان معلمه الكتامي بشكل قاطع ما هو متأكد منه وما ليس متأكداً منه. فيوضح ما ينقله من علماء نبات آخرين، مثل ابن جلجل، وما شاهده هو أو الكتامي. فإذا وضعنا في البال الصورة النمطية التي تشكلت لدى مؤرخي العلوم من أن العلوم الطبيعية كانت قد توقفت منذ فترة عن الإبداع وصار المؤلفون في ذلك العصر مجرد ناسخين يجمعون ما كتبه أسلافهم، فإن جهد المؤلف والكتامي في الحصول على أوثق المعلومات بالوقوف على النباتات ومشاهدتها على الطبيعة يعتبر جهدا مميزا في ذلك العصر الذي قيل عنه عصر تخلف.

[1] المصدر السابق، ص ١٠.

ويبيّن الكتاب المعلومات الكثيرة المستفيضة عن تكوين الكتامي العلمي والمهني. فهو يذكر صراحة أنه درس النباتات في كل من فاس[1] وجبال مكود[2] وطنجة[3] وجبل مكلاتة[4] والجزيرة الخضراء[5] والسواحل البحرية[6] والأندلس[7] وجبل غياثة[8] ومليلة[9] وجبل زيري بمنطقة بجاية[10].

وإذا كان النبات مستوردا من جهات بعيدة ولم يره في المغرب أو الأندلس فإنه يصرّح بأنه لم يره نابتا على الأرض. فيقول مثلا عن الكركم: **"فأما الكركم فلم نشاهده نابتا لأنه مجلوب إلينا من الشام. وذكر لي أنه بالأندلس ولم أره بها بعد"**[11]. ويقول عن زهرة اللوتس: **"لوطوس الذي يكون بمصر وينبت على الماء ... وأما المنسوب إلى مصر فلم نره"**[12].

ويوضح الكتامي أنه كان يعمل في جمع الأعشاب الطبية منذ صغره، فيقول: **"كنت أخدم العشب مع رجل بربري، وأنا إذ ذاك فتى. فأصابني وجع ... الخ"**[13]. وفي

[1] المصدر السابق، ص ١٧ و١٢٨ و١٣٢ و١٥٠.

[2] نفس المصدر ص٢١ س١.

[3] نفس المصدر ص٢٤ س١٠ وص١٢٥ س١٢.

[4] نفس المصدر ص٣٤ س١٦.

[5] نفس المصدر ص٣٩ س١٢.

[6] نفس المصدر ص٥٨ س١٥.

[7] نفس المصدر ص١٧ س٩ وص٧٩ س١٤.

[8] نفس المصدر ص١١٨ س١٧.

[9] نفس المصدر ص١٣٨ س١٨.

[10] نفس المصدر ص١٤٨ س٣.

[11] نفس المصدر ص ٧٠ س ٤.

[12] نفس المصدر ص ١١٣ س ١١.

[13] نفس المصدر ص ٥٥ س ٦ (الجامع ٢/ ١٣٦ طبعة بولاق).

أماكن أخرى من الكتاب يذكر أنه أخذ معلوماته عن الأدوية النباتية من أساتذة له دون أن يسميهم[1].

وتُظهر نصوص الكتاب مدى حرص الكتامي على تجربة كل دواء دون الاعتماد على الكتب، مع أنه تلقى تعليما نظريا جيدا في مجاله. فنجده يتحدث عن تجاربه المختلفة مع كل نبات. فمن ذلك أنه كان بمدينة فاس طبيب من مالقة الأندلسية يعرف بابن الفخار، قال بأنه عنده نبات قصب الذريرة. ولما طلبه البعض أظهر نباتا آخر هو الماميران. ولما قيل له بأنه الماميران وليس قصب الذريرة قال بأن معلمه (أي معلم الطبيب ابن الفخار) هو الذي أفهمه أن ذلك هو قصب الذريرة. يقول الكتامي: **"فوقع من ذلك شيء في نفسي، فطلبت الماميران وتفقدته بعناية"**. فاتضح للكتامي أن أوصاف الماميران تنطبق على وصف قصب الذريرة في كتاب ديوسقُريدس[2].

ويروي عن نبات "شباط الراعي" أن امرأة قصدته في الحانوت وقالت له:**"أودعك أمانة تنفع بها المسلمين"**، وتركت عنده النبات بعد أن ذكرت له خواصه العلاجية. فيقول: **"فلما جرّبت ذلك مرات وجدت كما ذكرَت"**[3].

ويروي أنه كان مرة في جبل يجمع الأعشاب، فأصابه نوع من القولنج، فاستعمل له نبات الأنتلة فتعافى. وبعد ذلك كان في فاس فاشتكت امرأة ألما مشابها، واستعملت أنواعا من الأدوية، فما زال الألم منها. يقول: **"فأعطيتها أصول الأنتلة لما كنت جرّبت في نفسي. فاتفق لها ما كان اتفق لي بإذن الله"**[4].

ورأى في ساحل مدينة مليلة نباتا تنطبق عليه الأوصاف التي وردت في كتاب ديوسقُريدس عن نبات اسمه باليونانية دروقني dragoni أي التنين. فيقول: **"ولكنني لم**

[1] نفس المصدر ص ٦٧ س ١، وص ١٢٥ س ٢، وص ١٦١ س ١٠.

[2] نفس المصدر ص١٧ س٩.

[3] نفس المصدر ص١٢١ س١٠.

[4] نفس المصدر ص١٢٨ س١٣.

أجربه بعد .. .. وكان معي رجل عشّاب من أهل شرق الأندلس فسألته عنه"[1].

ويقول عن نبات البنفسج: "جربت منه أن ورقه الغض إذا دق وعصر ماؤه وخلط بالسكر وشربه الصبي الذي تبرز مقعدته نفعه نفعا بينا"[2].

ويقول عن جذر الكرمة البرية ومقارنتها بالكرمة السوداء: **"فلم نجربه كذلك، لكنا جربنا أصل السوداء وحده .. .. ولقد نأكله مرارا كثيرة ونكثر منه ولا يحرك شيئا"**. وبعد أن شرح تجاربه مع هذا النبات انتقد وصف ديوسقُريدس له قائلا: **"وبالجملة فقد وقع في كتاب د في حلية الكرمة البرية تخليط"**[3].

ويقول عن نبات السرخس: "وجرب في هذا الصنف أن رجلا كان قد أقعد من وجع الوركين والمائدة .. .. الخ"[4].

من هو المؤلف ؟

كتب المستشرق ديتريش في مقالته بالموسوعة الإسلامية عن أبي العباس النباتي المعروف بابن الرومية أنه يظن أن الكتاب قيد الدراسة من تأليف هذا الأخير[5]. وعندما نشر الكتاب سنة ١٩٨٨ كتب على غلافه أنه من تأليف مجهول. ولكنه في الدراسة التي أرفق بها الترجمة الألمانية ذكر نفس الرأي، حيث كتب قائلا: **"والآن من هو المؤلف المجهول الذي ندين له بهذا الشرح المتعدد المؤلفين على كتاب ديوسقُريدس؟ العنوان غير موجود. ولا نجد في المقدمة أو الخاتمة معلومة ترشدنا إلى اسم المؤلف. ولكننا نستنتج من مقدمة الكتاب أن عبد الله بن صالح الكتامي لم يكن فقط أستاذا لابن البيطار، ولكنه بالإضافة إلى ذلك قام بتدريس شرح كتاب ديوسقُريدس لمؤلف كتابنا هذا في مراكش سنة ٥٨٣هـ. ويتلفت الباحث منا حول ما ورد في التاريخ**

[1] نفس المصدر ص١٣٨ س١٨.

[2] نفس المصدر ص١٥١ س ١٢ (الجامع ١/ ١١٤-١١٥ طبعة بولاق).

[3] نفس المصدر ص١٧٢ س٢٢.

[4] نفس المصدر ص١٧٤ س١٦ (الجامع ٣/ ٧ بولاق).

[5] DIETRICH, Encyclopaedia of Islam, Op.cit., pp. 396-397.

الثقافي العربي على أمل يجد مؤلفا درس كتاب ديوسقـُريدس في نهاية القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي، فيخطر على باله اسم أبي العباس النباتي المعروف بابن الرومية"[1]. وبعد ذلك يقدم ديتريش سيرة موجزة لحياة ابن الرومية.

فنجد إذن أنه بنى استنتاجه على كون ابن الرومية معاصرا للكتامي، وأنه ألـّف كتابا في شرح عمل ديوسقـُريدس. ولكن دراسة محتويات الكتاب الذي ندرسه هنا ومقارنتها بكتب ابن البيطار الأخرى توضح استنتاجين: الأول هو أن الكتاب من تأليف ابن البيطار نفسه. والثاني هو أن الكتاب لا يمكن أن يكون من تأليف ابن الرومية.

نقرأ في الكتاب العبارة التالية:

"قال ع: رأيت هذا النبات بطنجة ولا أعرف له اسما.

قال عبد الله: **هو نبات له ورق كورق البذرة، وفي ظاهر الورق دود شبيه بالدود التي في ورق قسطس، وذكر دياسقوريدوس أن هذا الدواء إذا دقّ وجعل على الثدي لا يتكبر"**[2].

فمن هو عبد الله هذا؟ هو طبعا ليس عبد الله بن صالح الكتامي لأن المؤلف يذكر هذا الأخير بعبارة ع في كل صفحات الكتاب، كما مرّ بنا عند ذكرنا للاختصارات التي اعتمدها المؤلف. وقد اقتبس المؤلف قول الكتامي "رأيت هذا النبات بطنجة ولا أعرف له اسماً"، وبالتالي ليس هو الذي يصف النبات بالعبارة التي تحتها خط[3].

والمؤلف يوضح أسماء مؤلفي المصادر التي ينقل منها، ولم يوضح من هو عبد الله

[1] DIETRICH, Dioscurides triumphans, Op.cit., s.44.

[2] شرح لكتاب دياسقوريدس، المرجع السابق، النص العربي ص ١٢٥.

[3] يقول ديتريش حول هذه العبارة (ص ٥٣٢ من الترجمة الألمانية) "يحتمل أن [عبد الله] هو ع، وبالتالي هو عبد الله بن صالح الكتامي أستاذ المؤلف. والفقرة التي نعلق عليها هنا كانت أصلا ضمن نص الكتاب، إلا أن الناسخ نسيها ثم وضعها على الهامش. وهذا يوضح لنا لماذا استعمل الأسماء الكاملة [عبد الله] و[دياسقوريدوس] بدلا من ع ود في الجملة الأخيرة". ولكن كما لاحظنا فالكتامي لا يمكن قائل العبارة المنسوبة إلى "عبد الله"، لأن كلامه مناقض لكلام هذا الأخير.

هذا.

وبالتالي عبد الله هو المؤلف. وبما أن ابن الرومية اسمه أحمد فلم يبق من معاصري الكتامي الذين تتلمذوا عليه وكتبوا صراحة أنهم من تلاميذه سوى عبد الله بن أحمد العشاب المعروف بابن البيطار[1]. فالكتاب إذن من تأليف هذا الأخير.

وهناك أدلة أخرى على كون الكتاب من تأليف ابن البيطار وليس ابن الرومية:

١- فهو يقتبس في موسوعته **"الجامع لمفردات الأدوية والأغذية "** فقرات كاملة من كتابنا هذا، وبالأخص أقوال الكتامي، ولا يشير إليه إطلاقا كمصدر، مع أنه أمين في نقله من الكتب الأخرى، سواء كانت من تأليف أستاذه ابن الرومية أو غيره. فنستنتج من هذا أنه ينقل عن مصدر يعتبره كتابا سبق أن قام بتأليفه، فلا داعي لأن يشير إليه لأنه ليس من تأليف غيره. والجدول التالي يبين هذه الاقتباسات .

جدول بنقول ابن البيطار من الكتامي في الجامع

مع أرقام صفحاتها في كتاب مراكش

التسلسل	اسم النبات	مكان النص في الجامع (ط بولاق)	مكانه في كتاب مراكش
١	الأشنة	ج١ ص٣٦	ص١٨
٢	البنفسج	ج١ ص١١٥	ص١٥١
٣	ذافني	ج٢ ص١٢٢	ص١٥٩
٤	ذنب السبع	ج٢ ص١٢٦	ص١٥٠
٥	رجل الغراب	ج٢ ص١٣٦	ص٥٥

[1] وردت هذه العبارة في كتاب "الجامع" لابن البيطار (ج٣ ص١٣ طبعة بولاق، مادة سطرونيون): "مشايخنا الثقات في هذه الصناعة من أهل الأندلس منهم أبو العباس النباتي وعبد الله بن صالح الكتاني (الصواب الكتامي، والتصويب من المخطوطات التي اعتمد عليها لكلير عند إعداده للترجمة الفرنسية للجامع) وابن حجاج الأشبيلي".

٦	السرخس	ج٣ ص٧	ص١٧٤
٧	شرش	ج٣ ص٦٠	ص٧٨
٨	الشلجم	ج٣ ص٦٨	ص٥١
٩	قلومانن	ج٤ ص٣٢	ص١٢٣

٢- لو كان المؤلف هو ابن الرومية كما ظن ديترش فلماذا ينقل ابن البيطار (في الجامع) من كتابه "الرحلة المشرقية" ولم ينقل عن أي تأليف آخر لابن الرومية؟ فقد وردت أقوال ابن الرومية في الجامع مائة مرة[1]. وليس فيها جملة واحدة من كتابنا، وإنما في كثير من الأحيان ينسبها ابن البيطار صراحة إلى كتاب "الرحلة المشرقية".

٣- آراء ابن الرومية التي نقلها ابن البيطار في كتبه تتناقض وتختلف مع الآراء التي يعتمدها مؤلف كتابنا هذا، دليلا على أن الكتاب لا يمكن أن يكون من تأليف ابن الرومية.

فمثلا نجد في كتابنا هذا قول الكتامي: **"ويسمى فارقلومانن أيضا بفاس كل وافضل، وهو صريمة الجدي، وبالبربرية إيريفي"**[2]. وفي مقابل هذا نجد ابن الرومية يقول: **"سماه قوم بصريمة الجدي وليس ذلك بصحيح"**[3].

وفي كتابه "تفسير كتاب دياسقوريدوس في الأدوية المفردة" يقول ابن البيطار حول النبات الذي ورد باسم فاليورُس في كتاب ديوسقُريدس: **"وقال أبو العباس الإشبيلي المعروف بابن الرومية: [إنها شجرة العناب]. وفيه نظر، لأن دياسقوريدوس يقول إن**

[1] السباعي، فاضل: "الصيدلاني الأندلسي أبو العباس النباتي ابن الرومية"، أبحاث الندوة العالمية الرابعة لتاريخ العلوم عند العرب (المنعقدة بجامعة حلب في ١٩٨٧)، نشر معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب، ١٩٩٣، ج٢ ص ٥٠-١١٤.

[2] شرح لكتاب دياسقوريدس، المرجع السابق، النص العربي ص ١٢٤ س٩.

[3] "الجامع" لابن البيطار (ج١ ص٨٢ طبعة بولاق، مادة "باريلوملين").

هذه الشجرة بزراً دسماً، فإن البزر من الثمر"[1]. وفي مقابل هذا نجد في كتابنا هذا حول نفس النبات: **"قال س: وهو شجر السدر بنوعيه، وهما بالعربي العبريّ والضال. قال ع: ويسمى السدر بالبربرية تازاكارت"**[2].

وفي موضع آخر من كتاب "تفسير كتاب دياسقوريدوس" يقول ابن البيطار حول النبات الذي ورد باسم صنخيس في كتاب ديوسقُريدس: **"هو نوع من الهندباء .. .. .. وقال الشيخ الفاضل أبو العباس الإشبيلي رضي الله عنه: [هو الأسفاناخ]. ولم يصحّ قوله"**[3]. وفي مقابل هذا نجد في كتابنا هذا حول نفس النبات: **"قال ع: .. .. وعليه يقع اسم الهندباء أيضا اليوم"**[4].

٤- ينقل الدواداري نصا عن كتاب "شرح كتاب ديوسقُريدس" لابن الرومية، حيث يقول: **"المصيصة تدعى موطن الحكيم أبقراط، مع أن حمص أيضا موطنه. ذكر ذلك ابن الرومية في شرح كتاب ديوسقُريدس"**[5]. وهذا النص غير موجود في كتابنا.

مقارنة كتاب مراكش بتفسير ديوسقُريدس

هل قام ابن البيطار بتأليف كتابين حول تفسير كتاب ديوسقُريدس؟ الجواب نعم

[1] ابن البيطار: عبد الله بن أحمد المالقي: تفسير كتاب دياسقوريدوس في الأدوية المفردة، تحقيق إبراهيم بن مراد، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٩، ص ١٣٦. وقد طبع نفس الكتاب بتحقيق المستشرق ديترش بألمانيا سنة ١٩٩١. وهذا هو عنوان الطبعة الألمانية:

DIETRICH, Albert: Die Dioskurides-Erklärung des Ibn al-Baitār, Göttingen : Vandenhoeck & Ruprecht, 1991.

[2] شرح لكتاب دياسقوريدس، المرجع السابق، النص العربي ص ٢٦ س١٣-١٤.

[3] ابن البيطار، تفسير كتاب دياسقوريدوس ، المصدر السابق، ص ١٨٧.

[4] شرح لكتاب دياسقوريدس، المرجع السابق، النص العربي ص ٥٥ س١٥-١٦.

[5] ابن أيبك الدواداري: كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق أولرخ هارمان، القاهرة: المعهد الألماني للآثار بمصر، ١٩٧١، ج٨ ص١٧٩.

ولا في آن واحد. فكتاب مراكش كان بالنسبة للمؤلف عبارة عن نسخة من مفكرة شخصية لطالب في مقتبل العمر، دوّن فيها ما أملاه شيخه الكتامي سنة ٥٨٣هـ، ومعظم محتوياتها هي عبارة عن أقوال الكتامي. ثم قام هو بإملاء ما فيها على زملاء له سنة ٦٠٠هـ كما جاء في المخطوطة، ويقول هو نفسه عنها: **"وإني لما أكملت ذلك كله** (أي أكمل دراسة كتب ديوسقُريدس وابن جلجل على أستاذه الكتامي) **على حسب ما ذكرت، رأيت أن أجعل مقالة واحدة لأشرك في الانتفاع بها من أراد ذلك من الطلبة إخواننا، وفقنا الله وإياهم ونفعنا بما علّمنا"**[1]. وتفيدنا هذه العبارة أن مؤلفها يكتب عبارته وهو في سن طلب العلم. وإذا كان عمره ١٨ عاما حين تتلمذ على الكتامي، فتكون ولادته حوالي سنة ٥٦٥هـ، حيث لم تذكر المصادر تاريخ ولادته.

ثم حملها معه إلى المشرق، وظل يعتمد عليها في بحوثه الميدانية التي أضافت إلى معلوماته الكثير. وفيما بعد اعتمد عليها ضمن المراجع الأخرى عند تأليف كتابه الموسوعي "الجامع". يقول ابن أبي أصيبعة في حديثه عن ابن البيطار: **"أحضر لدينا عدة من الكتب المؤلفة في الأدوية المفردة مثل كتاب ديسقوريدس وجالينوس والغافقي وأمثالها من الكتب الجليلة في هذا الفن، فكان يذكر أولا ما قاله ديسقوريدس في كتابه باللفظ اليوناني على ما قد صححه في بلاد الروم، ثم يذكر جمل ما قاله ديسقوريدس من نعته وصفته وأفعاله، ويذكر أيضاً ما قاله جالينوس فيه من نعته ومزاجه وأفعاله وما يتعلق بذلك، ويذكر أيضاً جملاً من أقوال المتأخرين وما اختلفوا فيه، ومواضع الغلط والاشتباه الذي وقع لبعضهم في نعته، فكنت أراجع تلك الكتب معه، ولا أجده يغادر شيئاً مما فيها، وأعجب من ذلك أيضاً أنه كان ما يذكر دواء إلا ويعين في أي مقالة هو من كتاب ديسقوريدس وجالينوس، وفي أي عدد هو من جملة الأدوية المذكورة في تلك المقالة"**[2].

أما كتاب **"تفسير كتاب دياسقوريدوس"** لابن البيطار فهو كما ذكرنا أوفى الشروح

[1] شرح لكتاب دياسقوريدس، المرجع السابق، النص العربي ص ٩.

[2] ابن أصيبعة: المصدر السابق ج٣ ص ٥٠١.

وأتمها من الناحية اللغوية، ولو أن كتاب مراكش يتفوق عليه كثيرا من ناحية استطراد الكتامي في وصف النبات بدقة ووصف منابته وبيئاته وأصنافه وخصائصه العلاجية كما جرّبها بنفسه.

وقد نتج **"التفسير"** عن خبرة عملية طويلة في فحص النباتات ودراستها، في رحلات علمية قام بها ابن البيطار في المشرق بعد رحلاته في المغرب. وسار فيه على نهج كتاب مراكش، حيث يذكر الكلمة اليونانية ثم يتبعها بالشرح الموجز لغويا. إلا أنه ما اكتفى بشرح المقالات الأربع الأولى من كتاب ديوسقُريدس كما هي الحال في كتاب مراكش، وإنما شرح بعض مفردات المقالة الخامسة[1].

ويقدّر زمن تأليف الكتاب الأخير بين عامي ٦٢٣-٦٣٢هـ، بناء على الدراسة التي قام بها محققه[2]. فكانت نتيجة عمل المؤلف أن عَرّب كتاب ديوسقُريدس تعريبا يكاد أن يكون تاما، معتمدا في ذلك على (١)استخبار المصادر المكتوبة و(٢)مشافهة العلماء من ذوي الخبرة و(٣)ترجمة المصطلح اليوناني، أي تفسير معناه بالعربية، ثم (٤)استعمال المسميات المحلية للنباتات في البلدان التي زارها[3].

فنجده أحيانا يذكر ما تعلمه من أستاذه الكتامي من مسميات مغربية دون أن يشير إلى ذلك. فمن ذلك قوله: **"هذه الشوكة تسمى عند أهل المغرب بزريعة إبليس، لأنها كثيراً ما تنبت في الطرق"**[4].

وهذه العبارة وردت منسوبة إلى الكتامي في مادة شرش المذكورة في الجدول السابق.

[1] ابن البيطار، تفسير كتاب دياسقوريدوس ، المصدر السابق، ص ٦٦-٧٢، ٣٠٧-٣١٦.

[2] بن مراد، إبراهيم: مقدمة تحقيقه لكتاب تفسير كتاب دياسقوريدوس، ص ٦١-٦٤.

[3] بن مراد، المرجع السابق، ص ٧٩-٩٠.

[4] ابن البيطار، تفسير كتاب دياسقوريدوس ، المصدر السابق، ص ٢١٦.